

أبو العباس الغبريني وكتابه: عنوان الدراية

عمر بلبشير

لقد قدم علماء المغرب الإسلامي عطاءً ثرياً، حافلاً بعلوم ومعارف شتى كان لها إسهامها الكبير في تقدم الأمة الإسلامية، وازدهارها، على مدى قرون عديدة، وقد حمل شعلة هذا العطاء كوكبة من العلماء والمفكرين، الذين كرسوا كل جهودهم للدراسة الجادة والبحث العميق في كل مجالات العلوم والفنون، وكانت لهم إضافات باهرة، وبصمات واضحة في مختلف التخصصات، وأسهموا بذلك في دفع الحركة العلمية والنهضة الفكرية في كل الاتجاهات.

ومن حق علمائنا ومفكرينا علينا أن نبرز عطاءهم، وأن نسجل لهم جهودهم، وننشر تراثهم، ومن العلماء القدامى الذين اهتموا بجمع أخبار أهل العلم من الشيوخ والأقران، وتوثيق نشاطهم ومناقبهم الشيخ جليل أبو العباس الغبريني الذي أرخ لمجموعة كريمة من العلماء والفقهاء والمتصوفة، كان بعضهم ممن أخذ عنه العلم والتربية، وذلك من خلال كتابه النفيس: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية" ففيه ترجم المؤلف لنخبة من علماء ومفكرين مدينة بجاية* تلك المدينة التي تميزت كمركز ثقافي يشع على المنطقة علاصيتها بنشاط هؤلاء العلماء وإنتاجهم الفكري ومساهماتهم في توجيه الحياة والعقلية والروحية للمغرب الإسلامي .

أولاً: الحياة السياسية في عصر الغبريني: يعد الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد الفيريني من أعلام مدينة "بجاية" في القرن السابع الهجري وإن أدرك أربع سنوات من

* أسناد مساعد في التاريخ المغرب الإسلامس- معهد التاريخ- م.ج. معسكر.

القرن الثامن الهجري، فقد عاش بين سنتي (644-704 هـ / 1246-1304م) فيكون قد ولد قبل وفاة مؤسس الدولة أبو زكرياء (625-647هـ/1227-1249م) بثلاث سنوات، وتوفي قبل وفاة السلطان "أبو عبد الله المستنصر بالله" (694-709 هـ/1294-1309م) بخمس سنوات، وبهذا يكون قد عاصر سبعة حكام للدولة الحفصية بما فيهم الداعي، قادوا الدولة في ظروف متباينة في أوضاعها السياسية والاجتماعية، وهم على التوالي:

- 1- أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي (625-647 هـ/1227-1249م).
- 2- أبو عبد الله محمد المستنصر (647-675 هـ/1249-1276م).
- 3- أبو زكرياء يحيى الواثق (675-678 هـ/1276-1279م)
- 4- أبو إسحاق (678-682 هـ/1279-1283م).
- 5- أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي الداعي (681-682 هـ/1282-1283م).
- 6- أبو حفص عمر (683-694 هـ/1284-1294م)
- 7- أبو عبد الله محمد المنتصر بالله (694-709 هـ/1294-1309م).

لقد عرفت افريقية منذ انتصاب الدولة الحفصية التي دامت ما يزيد على الثلاثة قرون ونصف تطورا سياسيا ورفقي ثقافي وخضاري، ولا يسمى في عهد السلطان "أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي" مؤسس الدولة الحفصية (625-647 هـ 1228-1244م)⁽¹⁾ وكانت هذه الدولة تضم علاوة على البلاد التونسية - الجهة الشرقية من المغرب الأوسط.

توسع نفوذ أبي زكرياء السياسي فجاءته البيعة من الأندلس سنة 635 هـ واحتل تلمسان سنة 639 هـ⁽²⁾ ثم جاءته بيعة إشبيلية وغرناطة سنة 643 هـ⁽³⁾، كما وصلت البيعة لابنه من بعده من أهل مكة المكرمة⁽⁴⁾، وفي سنة 630 هـ عقد لولده "أبي يحيى زكرياء" على بجاية وجعل إليه النظر في سائر أعمالها من الجزائر وقسنطينة وبونة والزاب⁽⁵⁾ ثم ولاه عهذه سنة 638 هـ.

ولما توفي هذا الابن سنة 646⁽⁷⁾ عظم أسفه عليه وساء مصاب الناس فيه ثم عقد ولاية العهد لأخيه محمد المستنصر، وبعد وفاة "أبو زكرياء" بظاهر "بونة" سنة 647 هـ⁽⁸⁾ خلفه ولد محمد المستنصر (647 - 676 هـ).

وعرفت إفريقية في ذلك العهد فمضة اقتصادية واجتماعية بفضل هجرة الأندلس الذين وفدوا على تونس زراقات ووحودنا، فأحيوا الأراضي الزراعية ولا سيما بالشمال التونسي، وبجزيرة "شريك"*** كما استفادة "بجاية" بدرها من هذه الهجرة الأندلسية⁽⁹⁾.

كما انتفعت البلاد من هجرة الصقليين الذين غادروا جزيرة صقلية بعد استلاء النصارى عليها، فاستقروا بالخصوص في المناطق الساحلية وشاركوا مشاركة فعالة في تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وبعد وفاة السلطان محمد المستنصر تولى ابنه أبو زكرياء يحيى الواثق (676 - 678 هـ/1277/1279م) الذي عرف عهده اضطرابات سياسية كان أهمها ثورة "بجاية" نحو سنة (682هـ/1283م) وعلى إثر ذلك انحلح الواثق لعمه الأمير إسحاق واستقر هذا الأخير بتونس⁽¹⁰⁾.

ومعلوم أن أبو العباس الغبريني تولى القضاء في مواضع عدة كان آخرها مدينة "بجاية" غير أننا لا نعلم أين كان قاضيا أثناء ثورة بجاية كما يذكر القاضي النباهي⁽¹¹⁾.

وفي سنة 681 هـ ثار الداعي أحمد بن مرزوق المسيلي على أنه الفضل ابن الواثق وحاربه أبو إسحاق فأمزم أمامه، وما كادت تستقر الأمور للداعي حتى خرج عليه الأمير أبو حفص عمر الذي لجأ إلى قلعة "سنان" عقب هزيمة أبي فارس وأتاه العرب ببيعتهم سنة (683 هـ/1284م) وساروا به إلى تونس نحاربة الداعي وتمكن من القضاء عليه ولقب بالمستنصر⁽¹²⁾.

وبعد وفاة أبو حفص سنة 694 هـ⁽¹⁴⁾ خلفه الأمير أبو عبد الله محمد (أبو عصيدة) وقد بويع بتونس في أواخر ذي الحجة سنة 694 هـ⁽¹⁵⁾ ولقب بالمستنصر بالله وأظهر السيرة المرضية.

هذه إذن أهم ملامح الحياة السياسية في عصر أبو العباس الغبريني.

الحياة الثقافية في عصر الغبريني: اهتم الحفصيون بنشر الثقافة والتعليم، فاعتنوا بتنظيم التعليم بجامع الزيتونة المعمور، وأحدثوا الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم والمدارس المنتشرة بمدينة تونس، والتي اتخذوها قاعدة لدولتهم، وأسّسوا مكتبة كبيرة بالجامع الأعظم تضم نفائس المخطوطات والمصنفات⁽¹⁶⁾.

هذا الاهتمام دفعهم إلى تشييد المراكز العلمية والفكرية كجامع القصبية وجامع باب الأقواس وجامع الهواء، وقد بنى مؤسس هذه الدولة أبو زكرياء الحفصي أول مدرسة حفصية حوالي سنة (633هـ / 1235م)، وهي المدرسة الشماعية⁽¹⁷⁾ التي تقع بسوق الشماعية، ومن أشهر من أقام بها من طلبة العلم عهدئذ، الإمام إن عرفه⁽¹⁸⁾ وتلميذاه البرزلي⁽¹⁹⁾ والأبي⁽²⁰⁾.

وفي سنة (650هـ / 1252م) أسّست زوجة الأميرة "عطف" أبي زكرياء ووالدة الخليفة الحفصي "المستنصر" مدرسة ثانية تدعى المدرسة التوفيقية⁽²¹⁾ وتقع بجوار جامع الهواء في الربض الجنوبي من مدينة تونس، ومن أشهر من درّس بها في العهد الحفصي الإمام "ابن عرفة".

ومع نهاية القرن السابع الهجري بني الأمير أبو زكرياء يحيى ابن السلطان أبي إسحاق مدرسة حفصية ثالثة بالقرب من جامع الزيتونة، اسمها مدرسة المعرض أو المدرسة المعرضية⁽²²⁾.

كما أنشأت الأميرة فاطمة بنت الأمير أبو زكرياء الحفصي مدرسة تعرف باسم المدرس العنقية⁽²³⁾، وُمن تولى التدريس بها في العهد الحفصي الشيخ محمد بن عبد السلام⁽²⁴⁾ والشيخ أبو مهدي الغبريني⁽²⁵⁾ وبعض علماء من آل القلشاني.

كما شهدت بجاية موطن الغبريني حياة ثقافية مزدهرة في القرن السادس والسابع الهجريين، ففي القرن السادس الهجري شكلت بجاية مركزاً لكبار علماء العصر منهم أبو عليّ المسيلي⁽²⁶⁾ وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي⁽²⁷⁾ والشيخ أبو مدين الغوث⁽²⁸⁾ وغيرهم كثير من نجوم هذا القرن.

وفي القرن السابع الهجري عرفت الحركة العلمية والفكرية تقدماً كبيراً ونبغ أعلام كثيرون في مدينة بجاية أثبت الكثير من تراجمهم صاحب "عنوان الدراية"، والذي يرجع إليه الفضل في التعريف بالمكانة العلمية والأدبية لمدينة بجاية وبنشاطها الثقافي في القرنين السادس والسابع الهجريين وإن كانت حصة القرن السابع أكبر بكثير من القرن السادس لكونه القرن الذي عاش فيه المؤلف.

سيرته: ساق المترجمون لأبي العباس الغبريني اسمه ولقبه وكنيته ونسبه واتفقوا جميعاً على أن اسمه "أحمد بن أحمد بن عبد الله" وأنه يكنى "بأبي العباس"⁽²⁹⁾ غير أنه وقع خلاف بين مترجميه حول اسم أبيه هل هو أحمد أو محمد، والمشهور أنه أحمد وقد ذهب ابن توفيق القسنطيني (ت 810هـ) في الوفيات إلى أنه أحمد بن محمد الغبريني⁽³⁰⁾ وتبعه على هذه الرواية ابن القاضي صاحب "لقط الفرائد"⁽³¹⁾ وقد أيد هذه الرواية الشيخ محمد الشاذلي النيفر في تحقيقه لكتاب "الفارسية"⁽³²⁾.

غير أننا نعتقد أن هذا الترجيح يعتبره شيئاً من الضعف لأن نسخ الوفيات لم تُجمع كلها على هذه الرواية، ضف إلى ذلك أن القاضي النباهي (713-792هـ)⁽³³⁾ وابن فرحون (ت 799هـ) وهما أقدم من ترجم للغبريني وذكروه بـ "أحمد بن أحمد"، ثم أن نسخ "عنوان الدراية" لصاحب الترجمة، تصدر بأحمد بن أحمد، وهو ما اعتمده الأستاذ العلامة محمد بن أبي شنب، ناشر الطبعة الأولى من "العنوان"⁽³⁴⁾ وتبعه صاحب الأعلام⁽³⁵⁾ وصاحب "معجم أعلام الجزائر"⁽³⁶⁾ وغيرهم.

مولده: تفيد المصادر التاريخية على أن مولده كان بجاية وبالتحديد "بني غبرين" بأحواز العزازقة من بلاد القبائل الكبرى، سنة 644 هـ⁽³⁷⁾، غير أن هذه المصادر لا تكاد تذكر لنا شيئاً عن مكان ميلاده.

أسرته: لم تمدنا المصادر التي تحت أيدينا بمعلومات كافية عن عائلته، سوى ما علمنا من أن اسم والده أحمد، كما يستفاد ذلك من اسم ابنه، ومن هنا فلا يستطيع الباحث أن يقدم تصورا مؤكدا عن أسرة الغبريني.

فأسرته من بني غبرين، وقد نبغ فيها غير المؤلف عدد من الأعلام ترجم لاثنين منهم في "العنوان"، أحدهما: أبو النجم هلال بن يونس بن عليّ الغبريني⁽³⁸⁾، من قبيلته، وثنانيهما أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني⁽³⁹⁾ وهما من أفراد قبيلته.

ومن يشير إليه المترجمون بالذكر من أفراد أسرته ولده العالم الجليل أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني أبو القاسم⁽⁴⁰⁾ أخذ عن ابن عبد السلام وطبقته وتولى الفتيا بتونس، وأخذ كذلك عن القاضي أبي مهدي عيسى الغبريني وأبي عبد الله القلشائبي تولى قضاء بجاية، وتوفي (بعد 770 هـ)⁽⁴¹⁾.

نشأته وتعليمه: حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العربية والفقهاء بمسقط رأسه⁽⁴²⁾، ثم انتقل إلى مدينة بجاية القريبة من موطنه، وكانت حاضرة علم، وقاعدة ملك آنذاك، ومستقرا لعلماء الأندلس ودار هجرتهم إلى تونس، كما أنها العاصمة الثانية للدول الحفصية.

وفي سرده لبرنامج مشيخته أورد المؤلف جملة من العلوم والمعارف التي تلقاها عن شيوخه وهي موزعة بين علمي الدراية والرواية⁽⁴³⁾، وهي العلوم التي كان لها رواج كبير في عصره، كما أن الكتب التي درسها أبو العباس وذكرها في برنامجه هي خير نموذج للكتب التي كان يدرسها علماء ذلك العصر⁽⁴⁴⁾.

وقد تلقى أبو العباس علومه على نخبة من العلماء الأجلاء، بلغ عددهم نحو السبعين شيخا من أعلام شيوخ المغرب الأوسط وتونس والأندلس⁽⁴⁵⁾، فأخذ عنهم التفسير والحديث والفقهاء والأصول وعلم العربية والمنطق والفلسفة والتصوف، كان في مقدمة شيوخه عبد الحق بن ربيع (ت 675 هـ) وقد أخذ العربية وعلومها عن الشيخ أبي عبد الله التميمي (ت 673 هـ)⁽⁴⁶⁾ والمنطق عن الشيخ أبي العباس بن خالد (ت 660 هـ)⁽⁴⁷⁾ والتصوف عن الشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد الصديقي (ت

680هـ⁽⁴⁸⁾ وأصول الدين عن الشيخ أبي عبد الله الكناني الأندلسي (699 هـ)⁽⁴⁹⁾ وغيرهم من الشيوخ.

شخصية أبو العباس ومكانته العلمية: عُرف أبو العباس بقوة شخصيته وسعة معارفه، واهتمامه بالفقه وميله إلى التاريخ وتعاطيه الشعر، فاشتهر أمره، شغل وظيفة التدريس⁽⁵⁰⁾ ردهاً من الزمن، كما تولى القضاء "في مواضع عدة أخرجها مدينة بجاية"⁽⁵¹⁾ وعدَّ حسب ابن خلدون "كبير بجاية وصاحب شوارها"⁽⁵²⁾.

ويذكر القاضي النباهي أن أبا العباس حين تولى القضاء "كان في حكمه شديداً، مهيباً ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه، وقيام على النوازل، وتحقيق للمسائل"⁽⁵³⁾ وقد كان للتوظيف تأثير على سلوكه إذ ذكر القاضي النباهي أنه عندما "ولى خطة القضاء، ترك حضوراً الولائم، ودخول الحمام وسلك طريق اليأس من مداخلة الناس"⁽⁵⁴⁾ وقد ورد في عنوان الدراية إشارات تدل على ميل أبو العباس لسلوك التصوّف السني، ونلمس ذلك في ترجمته لأبي مدين⁽⁵⁵⁾ وموقف أبي عليّ المسيلي⁽⁵⁶⁾ وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي⁽⁵⁷⁾ وغيرهم من المتصوفة، وفي الآن نفسه كان متشدداً في التزام الأحكام الشرعية منكرًا على كل من يخالفها من أدياء التصوّف⁽⁵⁸⁾.

وفاته: أشار ابن خلدون إلى أن أبا العباس حصلت له كائنة من جهة السلطان، فراح ضحية مؤامرة أجبكت له من طرف بطانة أمير بجاية أبو البقاء خالد⁽⁵⁹⁾ فذكر أن هذه البطانة وجدت السبيل في الغريبي أثناء غيابه في سفارة أرسله فيها الأمير الحفصي خالد بن يحيى حاكم قسنطينية صحبة شيخ القرابة أبي زكريا الحفصي إلى تونس لتأكيد المصالحة والوفاق مع صاحبها السلطان محمد أبي عصيدة (694 - 709 هـ) فنجح حساده في بجاية في تحويل الأمير عنه وإغرائه بقتله بتهم باطلة، وتولى كبر هذه المؤامرة كبير ضباط القصر "ظافر الكبير" فتحول عنه السلطان وأضمر له شرًا وعزم على قتله عند عودته من سفارته، وعندما عاد الغريبي من مهمته إلى بجاية ألقى القبض عليه ونقذ أمر قتله بسجنه الضابط "منصور التركي" وكان ذلك سنة (204 هـ / 1304م)⁽⁶⁰⁾.

ويمكن تلخيص أسباب قتله استناداً إلى نص ابن خلدون إلى :

1. اتمام خصوم أبو العباس من بطانة الأمير بزعامة "ظافر الكبير" بأنه غير مخلص لأمر بجاية ودولته.

2. نسبة إليه جملة من الجرائم، منها إغراء "بني غبرين" قومه على السلطان أبي إسحاق لما لجأ إليهم في فراره من الثار الداعي أحمد بن مرزوق الذي احتل تونس وبجاية وفر منه أبو إسحاق إلى بجاية ليكون عند ولده أبي فارس وطارده الداعي واعترضه ولده أبو فارس فقاتله حتى قتل، ولما سمع أبو إسحاق بذلك فر من بجاية إلى تلمسان ومر ببني غبرين فأمسك هناك وسلم إلى المداعي فقتله سنة 682 هـ.

هذان سببان تدرع بهما خصوم أبو العباس لاثامه بالانحراف عن أمير بجاية، وهذا خلاف ما ذهبت إليه بعض المصادر التي ذكرت بأنه توفي بالطاعون سنة 214هـ⁽⁶¹⁾ لالتباس بينه وبين أحد أفراد أسرته الذي قد يكون ابنه الذي يحمل نفس الاسم، وهلك فعلاً بالطاعون بعد عشرة سنوات من فكر أبي العباس الغبريني.

مؤلفاته: عند إمعان النظر في فهرسة مروياته والعلوم التي أخذها عن شيوخه نراه مشاركاً في علوم عدّة من القرآن الكريم تفسيراً وقراءات، وفي الحديث الشريف وعلومه، والفقه وأصوله، والعربية وفنونها من نحو وأدب، وأصول الدّين ودلالته، والتصوّف وقواعده، والرقائق والمأثور من الأذكار، إضافة إلى المعرفة التاريخية والمنطق والفلسفة ومع ذلك فإن المصادر التي ترجمت له لا تذكر سوى مؤلف واحد له هو "عنوان الدراية فيمن، عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، الذي به اشتهر وذاع صيته وبلغت شهرته أرجاء افريقية والأندلس والمشرق، وبهذا الكتاب الخالد حفظ لنا أسماء علماء بجاية ومن ورد عليها من الأعلام، حيث أسدى خدمة جليلة لهؤلاء الأعلام والمدنية بجاية بخاصّة.

فعرّف فيه شيوخ العلم ورجال الفكر والتصوّف والأدب التي ازدانت بهم بجاية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.

أما تاريخ الشروع في تأليفه فقد أشار إليه المؤلف في مقدمة كتابه حيث قال : "وأني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبداء للمسرات، اذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"⁽⁶²⁾.

ومن هنا يشن أن تاريخ تأليفه يتراوح ما بين سنتي 69-675 هـ وأما تاريخ الانتهاء منه فقد كان سنة 699 هـ أو بعدها بقليل ويستفاد ذلك من ترجمته لشيخه أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي الذي ذكر أن وفاته كانت سنة 699 هـ⁽⁶³⁾.

منهجية في تأليف الكتاب: تقييد أبو العباس في هذا الكتاب بترجمته لمشاهير المائة السابعة من علماء بجاية الأصلاء أو الوافدين عليها، ولم يخرج عن هذا المنهج إلا نادرا على سبيل الاقتداء والتأسي منذ ذلك ما أورده من تراجم لبعض علماء القرن السادس الهجري كأبي مدين (594 هـ)⁽⁶⁴⁾ وأبي علي المسيلي (ت 580 هـ)⁽⁶⁵⁾ وأبي عبد الحق البجائي الاشيلي (ت 581 هـ)⁽⁶⁶⁾ وغيرهم من أهل هذا القرن، وبرر ذكرهم بأنهم كانوا في أواخر المائة السادسة وكان لهم تأثير بالغ الأهمية في توجيه الحياة الفكرية والروحية للقرن السابع وما بعده.

مضامين الكتاب: يعتبر هذا الكتاب نافذة مشرقة من تاريخ وحضارة بجاية، أبرز فيه مؤلفه المكانة العلمية لهذه المدينة ودورها في استقطاب أهل العلم وطلبته، وأهل التصوف ومريديه، والأدباء ورواده، والشعراء وعشاقه.

استهل الغبريني كتابه بترجمات ضافية لبعض علماء القرن السادس الهجري (كما أشرنا إلى ذلك) ثم يستعرض تراجم علماء المائة السابعة الذين أخذ عنهم أو سمع بهم أو التقى وإياهم ببجاية مبتدئا بذكر شيوخه مستهلا بترجمة الشيخ أبي محمد عبد الحق بن ربيع (ت 675 هـ) محتتما بذكر ما عرفه عن الشيخ أبي عبد الله المعروف

بابن الجنات (ت 610)⁽⁶⁷⁾ فكان مجمل عددهم مائة وشخصية واحدة، وكان عدد من ترجم له مائة وثمانية، من شيوخ علم ورجال فقه وتصوّف وصلاح.

من خلال هذا العدد الوفير من العلماء، الذين ازدهت بهم بجاية، أمكن التعرف على ذلك النشاط الثقافي الحصب، الذي برز في هذه المدينة، وعند التدقيق في تراجم هؤلاء الأعلام نلحظ أن النشاط الثقافي لهذه المدينة يتمثل في اتجاهات متنوعة، لا تخرج عن تلك الاتجاهات السائدة في البلاد الإسلامية، وهي بلا شك، تشكل الهيكل الأساسي للثقافة العربية الإسلامية في المراكز الثقافية جميعاً ويمكن حصر هذا النشاط بالأركان الرئيسية الثلاثة الآتية :

أولاً: العلوم الشرعية: كانت العلوم الشرعية في مقدمة الموضوعات التي درّست وهي تشمل الفقه والتفسير والقراءات القرآنية والحديث الشريف، وكانت جميع هذه العلوم تدرس بالجامع الأعظم ببجاية، وفي غيره من دور العلم الأخرى.

ونظرة فاحصة إلى تراجم علماء بجاية تؤكد أن القسم الأكبر من علماء بجاية كانوا من جلة شيوخ العلوم الشرعية وقد تصدّروا للتدريس والإقراء والسّماع مدة طويلة، وعلى كثرتهم لا يمكن ذكرهم جميعاً، وكان على رأسهم : الفقيه أبو عليّ المسلي، والفقيه المحدث الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشيلي، والمقرئ الراوية الضابط أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن الصديفي (674هـ)⁽⁶⁸⁾ والإمام الفقيه الأصولي أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (691 هـ)⁽⁶⁹⁾ وغيرهم كثير.

ثانياً: العربية وعلومها: حظيت علوم العربية بعناية كبيرة في مدينة بجاية وتمثّلت تلك العناية في مظاهر متعدّدة كان من أبرزها أن اللغة العربية في نحوها وبلاغتها وأدبها مادة أساسية تُدرّس بالجامع الأعظم ببجاية، وبقية المساجد الأخرى، وقد اشتهر من علماء العربية ببجاية أبو طاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسيني (من أهل القرن 6 هـ)⁽⁷⁰⁾ والشيخ النحوي اللغوي التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي (ت 673 هـ)⁽⁷¹⁾، والأديب النحوي اللغوي أبو الحجّاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري (أهل القرن 7 هـ)⁽⁷²⁾ والأستاذ النحوي التاريخي أبو

الحسن عليّ بن مؤمن بن محمد الحضرمي المعروف بابن عُصفور (ت 669 هـ)⁽⁷³⁾ وغيرهم كثير.

ثالثا: العلوم العقلية: كان يتعاطى هذه العلوم نخبة من كبار علماء بجاية ومُتصدِّريهم، خاصة ممن استوطن من الأندلسيين، إضافة إلى الوافدين من المشرق، فكان منهم: الشيخ القدرة أبو الحسن عليّ بن محمد بن أحمد الحرالي التيجيبي (ت 637 أو 638 هـ)⁽⁷⁴⁾ والشيخ الفقه الصوّفي أبو عبد الله محمد بن عليّ الطائي، محي الدّين بن عربي (ت 640 هـ)⁽⁷⁵⁾ والشيخ أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت 669 هـ)⁽⁷⁶⁾ والشيخ الفقيه المتجرّد أبو الحسن عليّ بن عبد الله النميري الششتري (ت 668 هـ)⁽⁷⁷⁾ وغيرهم.

وإلى جانب هذه الأركان الرئيسية توجد علوم أخرى أخذت طريقها إلى الحياة العلمية ببجاية وقد أشار إليها صاحب "عنوان الدراية" ويأتي في مقدمتها التاريخ والطب والحساب والفرائض ولكنها بمرتبة أقل من مرتبة الأركان الرئيس الثلاث. قيمة الكتاب: يعتبر كتاب "عنوان الدراية" من أنفس الكتب وأغزرها مادة وأعظمها فائدة، فهو حصيلة مركزة لمادة تاريخية غزيرة، فإلى جانب الفائدة من تراجم الرجال ومشايخ العلم فإن الكتاب يعد مادة مصدريّة مهم للكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا سيما ما يهم الحياة الثقافية التي نجح الغبريني في تكوين صورة متكاملة عنها إلى حد كبير، فهذا الكتاب هو انعكاس لثقافة العصر وتعبيراً صادقاً عن اهتمامات وميول مؤلفه من الناحية الفكرية والسلوكية.

الهوامش

1. ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي اليفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م: ص 107 وما بعدها- انظر كذلك: ابن عذاري، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، طر- 1400هـ/ 1980م: ج 3/ ص 274 - 276 ابن الخطيب والإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، دار المعارف، 1955م: ج 1/ ص 320.
2. انظر، يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حجيات، المكتبة الوطنية الجزائر، 1980: ج 1/ ص 205- الرركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد مازور، المكتب العتيقة، تونس (د.ت) ص: 29.
3. ابن قنفذ، المصدر السابق: ص 109.

4. حمّادي السّاحلي فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي ط1، 1992م ص : 37.
5. ابن قنفذ، المصدر السابق : ص. 109.
6. المصدر نفسه والصفحة .
7. المصدر نفسه والصفحة.
8. المصدر نفسه : ص 114.
- ** جزيرة شريك : كواراة بإفريقية بين سوسة وتونس، انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق : ج3/ص99.
9. حمّادي السّاحلي، المرجع السابق : 37.
10. ابن قنفذ، المصدر السابق : ص. 136.
11. القاضي البهاهي، تاريخ قضاة الأندلس وسماء كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1400 هـ / 1980م: ص. 132.
12. إن خلدون، العبر، منشورات عليّ بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2- 2003م - 1424 هـ / 391.
14. ابن خلدون، المصدر نفسه : 399/6- انظر كذلك: ابن قنفذ، المصدر السابق : 151-152.
15. المصدر نفسه : 400/6- انظر كذلك : ابن قنفذ، المصدر نفسه : 192.
16. حمّادي السّاحلي، المرجع السابق : ص. 38.
17. حمّادي السّاحلي، مدارس طلبة العلم في العهد الحفصي، دراسة من نفسه المرجع : ص. 215.
18. هو الشيخ الحجة أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي (716- 803 هـ)، فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة 775هـ، وقدم خطابه سنة 772، وللفتوى سنة 773هـ، انظر في ترجمته : ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان 1982م: ص 379-انظر كذلك: أحمد بابا التنيكي، نيل الابتهاج بتطريز الدبيح، تحقيق الدكتور عليّ عمر، مكتبة الثقافة الدّينية، ط1- 1423 هـ/2004م ج2 / 127-138- ابن فرحون، الديباح المذهب في معرفة أعيان المذهب، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، 2003م: ترجمة رقم 583- ابن العماد، شدرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الجليل، بيروت 1993م : 4/336.
19. هو أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي، مفتيها وفقهها وحافظها وإمامها بالجامع الأعظم، توفي سنة 841 أو سنة 843 أو سنة 844هـ، انظر في ترجمته : أحمد بابا التنيكي، نيل الانتهاج : 17/2- 18- انظر كذلك: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس القاهرة 1353 هـ : 11/189.
20. هو محمد بن خلف بن عمر التونسي الوشتاني شهر بالآبي الإمام اخفق العلامة الأصولي، تولى قضاء الجزيرة سنة 808 هـ، وتوفي سنة 828 هـ، انظر في ترجمته التنيكي، نيل الابتهاج: ج2/ص157-158 ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت): رقم874/ص.244.
21. حمّادي السّاحلي، المرجع السابق: ص. 215.
22. المرجع نفسه : ص. 216.
23. المرجع نفسه والصفحة.
24. محمد بن عبد السلام الهوارى التونسي، قاضي الجماعة بما وعلامتها وإمامها شيخ الإسلام، تولى التدريس والفتوى، وكانت ولايته للقضاء سنة 734هـ، وتوفي على ذلك سنة 744 هـ بالطاعون الجارف، انظر في ترجمته التنيكي نيل الابتهاج : 2/60-59 - وانظر كذلك : ابن مخلوف، شجرة النور : 731/210.
25. أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد العبريني التونسي، قاضي الجماعة لها وعالمها وصالحها وخطيبها بجامعها الأعظم بعد ابن عرفة، توفي في ربيع الثاني سنة 813 أو سنة 815 هـ، انظر في ترجمته : التنيكي، نيل الابتهاج : ج1/ص333-334 - وانظر كذلك: نهاية الخناج لمعرفة من ليس في الديباح، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2000م:ج1/ص318، القراني، توشيح الديباح وحلية الابتهاج، دار الغرب الإسلامي 1983 : 135، ابن مخلوف، شجرة النور : رقم820/ص.243.

26. هو أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الفقيه الفاضل العالم العابد كان يسمى أبا حامد الصغير توفي نحو 580 هـ/1185 م أنظر في ترجمته: الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببياجة، تحقيق الأستاذ رايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1- (د.تا): ص66- وله ترجمة عند ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحفير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد القاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م: ص34-35.
27. هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي، الفقيه احدث العابد الزاهد القاضي الخطيب، (ت 581 هـ) انظر في ترجمته: الغبريني، المصدر نفسه: ص 73 وما بعدها وله ترجمة عند ابن فرحون، الديباج المذهب: 276/359-278.
28. هو شيخ مشايخ المغرب سيدي أبو مدين الفوثن، شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الأصل، سيد العارفين وقدرتهم، الإمام المشهور، أحد كبار المراجع الصوفية، توفي سنة (594هـ/1197م) انظر في ترجمته: ابن قنفذ، أنس الفقير- انظر كذلك: ابن الزيات، التثوِّف إلى رجال التصوِّف وأخبار أبي العباس السبئي، تحقيق أحمد توفيق، ط1- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1404هـ/1984م: رقم 162/319- الخبيلي، شدرات الذهب: ج4/303- الغبريني، المصدر نفسه: ص55 وما بعدها- التبيكي، نيل الابتهاج: ج1/ص207 وما بعدها.
29. انظر الباهي، مصدر سابق: ص 132- انظر كذلك: ابن فرحون، الديباج المذهب: رقم 136/135 التبيكي، نيل الابتهاج: 102/1 الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر 1991م ج1/25 وما بعدها- ابن مخلوف، شجرة النور: رقم 754/ص 215.
30. ابن قنفذ، الوفيات: ص 338/339.
31. ابن القاضي، لفظ الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1976م: ص 69.
32. ابن قنفذ، الفارسية: انظر هامش صفحة 266.
33. التبيكي، نيل الابتهاج: ج1/ص370-371- انظر كذلك مقدمة تحقيق كتاب المراقبة العليا: ص- ط.
34. الغبريني، عنوان الدراية تحقيق محمد بن أبي شنب، طبعة الجزائر، 1910م.
35. خير الدِّين الزركلي، الإعلام دار العلم للملايين، بيروت 1990: ج1/ص90.
36. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1971م: 15-16.
37. النباهي، مصدر سابق: 132 انظر كذلك: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: ج15/ص16.
38. الغبريني، عنوان الدراية (الطبعة الحديثة): ص 107.
39. المصدر نفسه: ص 190.
40. التبيكي نيل الابتهاج: 102./1.
41. المصدر نفسه والصفحة.
42. د/ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ط1-1999م: ص128.
43. الغبريني، المصدر السابق: 307.
44. للإطلاع على جملة هذه الكتب انظر الغبريني، المصدر نفسه: ص 310-323.
45. المصدر نفسه: 310 وما بعدها.
46. هو محمد بن الحسن بن علي بن ميمون أبو عبد الله التميمي القلعي، شاعر نحوي أديب نسبته إلى قلعة بني حماد، وكان جده ميمون قاضيا بها، توفي سنة 673 هـ، انظر في ترجمته: الغبريني المصدر نفسه: ص 94 - انظر كذلك: الحفناوي، تعريف الخلف: 197 وما بعدها - عادل نويهض، مرجع سابق: ص148-149.
47. هو أحمد بن خالد أبو العباس من أهل مالقة، فقيه أصولي، توفي سنة 660 هـ، انظر في ترجمته: الغبريني المصدر نفسه: 100.
48. هو أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي (ت 680 هـ) - انظر في ترجمته الغبريني المصدر نفسه ص 122.

49. هو محمد بن صالح بن أحمد الكنايني الشاطبي، الفقيه الخطيب النحوي الأستاذ المقرئ، رحل إلى المغرب الأوسط، واستوطن بجاية وولى الخطبة بمجامعها الأعظم ما ينيف على ثلاثين عاما توفي(699 هـ) انظر في ترجمته العربي، عنوان الدراية :ص 104- انظر كذلك إن قفئذ، الوفيات : ص. 335
50. أشار إلى ذلك في ترجمته لشيخه أبي العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي المتوفي حوالي سنة 670 هـ بتونس، انظر: العربي، المصدر نفسه : ص116.
51. النباهي، المراقبة العليا : ص. 132
52. ابن خلدون، العبر : 6/405
53. النباهي، مصدر سابق ص. 132
54. المصدر نفسه والصفحة .
55. العربي، المصدر السابق : ص55 وما بعدها.
56. المصدر نفسه : ص66- وما بعدها.
57. المصدر نفسه : ص73- وما بعدها.
58. مثل ذلك موقفه من أبو الحسن الفقير الطيار حين دخل هذا الأخير المسجد دون أداء تحية المسجد فأنكر عليه أبو العباس ذلك وأمره بتأديتها، انظر العربي، المصدر نفسه : ص 121.
59. هو الأمير أبو البقاء خالد بن الأمير أبي زكرياء بن الأمير أبي إسحاق بن الملك أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، تولى إمارة بجاية بعد أبيه أبي زكرياء سنة 700 هـ، وتولى العرش الحفصي سنة 709 هـ، ولقب بالناصر لدين الله، وبلقب التوكل، ويذكر الزركشي أنه توفي سنة 711 هـ، انظر ابن قفئذ، الفارسية: 56-58- الزركشي، تاريخ الدولتين : ص. 36
60. انظر ابن خلدون، العبر : 6/405- انظر حول إثبات هذا التاريخ لوفاته : ابن فرحون، الديباج : رقم 135/136- النباهي، المصدر السابق : ص. 132
61. ومن الذين ذهبوا إلى أن تاريخ وفاته كان سنة 714 هـ الزركلي، الأعلام : ج1/ص87- ابن مخلوف، شجرة النور : رقم 754/ص215- الحفناوي، تعريف الخلف : ص 25 وما بعدها.
62. العربي، المصدر السابق : ص. 55
63. المصدر نفسه : 104 وما بعدها.
64. المصدر نفسه : 55 وما بعدها.
65. المصدر نفسه : 66 وما بعدها.
66. المصدر نفسه : 73 وما بعدها.
67. المصدر نفسه : ص302- وما بعدها.
68. أنظر في ترجمته المصدر نفسه : . 55
69. المصدر نفسه : 108.
70. المصدر نفسه : 126.
71. المصدر نفسه : 76.
72. المصدر نفسه : 94.
73. المصدر نفسه : 103.
74. المصدر نفسه : 266 وما بعدها.
75. المصدر نفسه : 145 وما بعدها.
76. المصدر نفسه : 158 وما بعدها.
77. المصدر نفسه : 209 وما بعدها.